بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الإمام الشافعي علم من أعلام العربية الكبار وأستاذ من أساتذتها العظام الذين لهم القدح المعلى في جميع علومها وفنونها من بلاغة وفصاحة وعروض ونحو وصرف وقافية وادب وعلم وبيان .. فهو ابن بجدتها وفارس حلبتها وحائز قصب السبق والتفوق فيها .. فضلا عن ان له القدح المعلى أيضا والقدم الراسخة في علوم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وعلماء الجرح والتعديل .. ويكفينا دليلا على حسن فطنته وكمال عقله وتمام فقه وعظم مكانته العلمية التى بلغ فيها شأوا لا يعول له قوله في اجابته على الرشيد حين ساله، كيف علمك بالقرآن؟! يا ابن ادريس فقال له عن أى علومه تسالني ، عن حفظه قد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتداءه وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه .. وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام .

ولا غرو فالشافعي عربي المولد والنشاة واللغة والنفس واللسان وقد رزقه الله ذاكرة واعية وحافظة مستوعبة وقلبا تقيا ونفسا مستقيمة وأنه كان يحفظ جميع ما يملي عليه حتى ولو سمعه من وراء حوار او خلف ستار او حجاب .. فقد حدث هو نفسه قال : « كنت وانا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فاحفظها انا » وانه مكث في قبيلة هذيل في البادية قريبا من مكة المكرمة سبع عشرة سنة يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم فلما رجع الى مكة جعل ينشد الاشعار ويذكر والأخبار وأيام العرب .. وانه حين اراد التوجه الى مالك بن أنس بالمدينة عمد الى قراءة الموطأ فحفظه في تسع ليال .. وكان رحمه الله يقضي وقته في القراءة والكتابة والإطلاع على شتى العلوم والفنون حتى انه جمع أطرافها واحاط باكنافها واستطاع ان ينبغ فيها وان يترك لنا ذخائره الفذة وتآليفه التى تدل على عقليته المبتكرة وعبقريته التي لا يدانيه فيها لاحق ولم يدركها سابق وبخاصة في مجال أصول الفقه الذى يعد بحق عيال عليه كل من اتى بعده حتى الآن في مضمار هذا العلم الذى ينسب اليه وحده ..

وقد روى أنه كان يحفظ عشرة آلاف بيت من الشعر في جميع الاغراض لقبيلة هذيل وحدها بإعرابها ومعانيها وكان من أعرف الناس بالتواريخ وكان ملاك امره الإخلاص .

فقد حدث ابن سليمان قال: كان الشافعي رحمه الله تعالى يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسالونه عن تفسيره ومعانيه فإذا إرتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر فإذا إرتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالوا إلى قرب إنتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه . .

والشافعي تتلمذ على شيوخ اللغة وائمة الإسلام المشهورين من امثال أبي حنيفة ومالك وتابعي التابعين الذين أدركهم بمكة والمدينة وعلماء البصرة والكوفة من اللغويين والنحاة وامثال عبدالملك بن هشام النحوي والقاسم بن سلام والربيع بن سليمان وأحمد بن أبي سريع . . وكان لمكانته العلمية واللغوية يدعى بالمطلبي نسبة الى جد النبي ﷺ عبد المطلب وقد أنجاه ذكاؤه وحسن تصرفه وتدبيره وحيلته وكياسته من القتل حين وشى به عند والي اليمن من قبل الرشيد وكان غشوما ظلوما . . قال الشافعي : وكان باليمن تسعة من العلويين قد تحركوا فكتب الوالي وإني أخاف أن يخرجوا وأن ههنا رجلا من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهي فكتب الرشيد اليه أن احمل هؤلاء واحمل معهم الشافعي فقرنت معهم قال فلما قدمنا على الرشيد ادخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن قال : فدعا هارون الرشيد بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية ثم التفت محمد ابن الحسن فقال يا أمير هذا المطلبي لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن فقلت لهلا يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وانا المدعو وانت القادر على ما تريد مني ولست القادر على ما اريد منك . .

يا أمير المؤمنين ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه والآخر يراني عبده أيهما أحب الي قال الذي يراك أخا قال قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين قال : فقال لي كيف ذاك؟ فقلت يا أمير المؤمنين انكم ولد العباس تروننا إخوتكم وهم يروننا عبيدهم قال فسرى ما كان به فإستوى جالسا وبعد مناقشة علمية بينه وبين الشافعي استبان له مقدارتبحر الشافعي في فروع العلم المختلفة طلب منه أن يعظه . يقول الشافعي : فذكرت عظه لطاوس اليماني فوعظته بها فبكى وأمر لي بخمسين ألفا وحملت على فرس وركبت بين يديه وخرجت فما أن وصلت الباب حتى فرقتها على حجابه وبوابيه قال : فلحقني هرثمة صاحب هارون الرشيد

فقال : اقبل هذه مني قال فقلت له اني لا آخذ العطية ممن هو دوني وإنما آخذها ممن هو فوقي . . قال وخرجت كما انا حتى جئت منزلي فوجهت الى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجه بها إليّ فكتب ووجهها إليّ .

اما عن شعره رضي الله عنه فهو وإن كان قليلا في بابه - فإنما يغلب عليه طابع الحكمة والعلم والتجارب والنصيحة وبيان الراى والإقناع وإشتمل على كثير من الاغراض والميادين التي يعايشها الانسان ويحياها في اطواره واحواله المختلفة . . ولا نستبعد أن نوافق بعض القائلين أن الشافعي كان يتمثل بأبيات من محفوظه الشعري في المواضيع التي ينشد فيها شعرا - وإن كان هذا يحتاج الى تحقيق وتثبت حتى يتبين الأصيل من المنحول . . ولعل ولعه الشديد بالاشتغال بالعلم ونبوغه في أصول الدين ومسائل الفقه لم يترك له وقتا أو مكانا لشبوب العاطفة وانفعاله لإقراض الشعر، ولعمري إذا كان يحفظ عشرة آلاف بيت لقبيلة هذيل وحدها - كما قدمنا - فماذا كان يحفظ عن القبائل الاخرى - ونتساءل الا يمكن ان يكون شاعرا بجانب كونه فقيها وهو من هو في سعة اطلاعه وقراءته الموسوعية في علوم العربية وحفظ أشعارها ومتونها الفقهيه والبلاغية وهو القائل :

اخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغه ... وصحبة استاذ وطول زمان

وقد كان رحمه الله يضرب به المثل في التواضع والسخاء والكرم والفقه والورع والعبادة حتى قال : وهو مريض « وددت لو ان الخلق يعلمون علمي هذا ولم ينسب إلى منه شيء أبدا » .

وقال الحسن بن عبد العزيز (شيخ البخاري) أن الشافعي قال « ما نظرت احدا فاحببت أن يخطيء وما في قلبي من علم إلا وددت انه عند كل احد ولا ينسب الي » .

وكان رحمه الله يختم القرآن في شهر رمضان أكثر من مرة في الصلاة في شهر رمضان وقال عن نفسه « ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة » رحمه الله رحمة واسعة ورضى عنه في أعلى عليين واللهم اجعلنا في زمرته واجعل أعمالنا صالحة ولوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئا وأرزقنا حسن العلم والعمل اللهم آمين والحمد لله كثيرا الذى تتم بنعمته الصالحات .

باب حسن الخلق

شعر هذا الباب يتحدث عن الأخلاق الحسنة وهى تعكس السماحة وجو الكرامة وهى تحوى حكما نافعة وجواهر غالية تفتح البصر والبصيرة وتدفع بالإنسان إلى التصرف السليم فى مواقف كثيرة .

كتمان الأسرار

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

حمل النفس على ما يزينها

صن النفس واحملها على ما يزينها ... تعش سالما والقول فيك جميل
لا ترين الناس إلا تجملا ... نبابك دهر أو جفاك خليل (١)
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير فى ود امرىء متلون ... إذا الريح مالت، مال حيث تميل
وما أكثر الإخوان حين تعدهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

تعريف الفقيه والرئيس والغنى

إن الفقيه هو الفقيه بفعله ... ليس الفقيه بنطقه ومقاله (٢)
وكذا الرئيس هو الرئيس بخلقه ... ليس الرئيس بقومه ورجاله
وكذا الغنى هو الغنى بحاله ... ليس الغنى بملكه وبماله

القناعة

رأيت القناعة رأس الغنى ... فصرت بأذيالها متمسك (٣)
فلا ذا يرانى على بابه ... ولا ذا يرانى به منهمك (٤)
فصرت غنيا بلا درهم ... أمر على الناس شبه الملك

(١) فى البيت روح طيبة وفيه دعوة إلى حسن الخلق كما يبدو فى الأبيات جو الهدوء والطمأنينة النفسية وهو عكس ما تمثل به الإمام الإمام فى لحظات الضيق وشكوى الزمن والناس
(٢) بيان الحقيقة الناس وميزان دقيق لقياس أحوالهم .
(٣) الصواب (متمسكا) .
(٤) الصواب (منهمكا) ولكنها ضرورات القافية .

مكارم الأخلاق

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسى من هم العداوات (١)
إن أحيى عدوى عند رؤيته ... لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كما أن قد حشى قلبى محبات (٢)
الناس داء ودواء الناس قربهم ... وفى اعتزالهم قطع المودات

تأتى العزة بالقناعة

أمت مطامعى فأرحت نفسى ... فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ... ففى إحيائه عرض مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد ... علته مهانة وعلاه هون

الإعراض عن الجاهل

أعرض عن الجاهل السفيه ... فكل ما قال فهو فيه
ما ضر بحر الفرات يوما ... إن خاض بعض الكلاب فيه

كتب إلى البويطى وهو فى السجن : حسن خلقك مع الغرباء ووطن نفسك لهم فإنى كثيرا ما سمعت الشافعى يقول (٣) :

أهين لهم نفسى وأكرمهم بهم (٤) ... ولا تكرم النفس التى لا تهينها

توقير الرجل

ومن هاب الرجال تهيبوه ... وم حقر الرجال فلن يهابا
ومن قضت الرجال له حقوقا ... ومن يعص الرجال فما أصابا (٥)

السماحة وحسن الخلق

إذا سبنى نذل تزايدت رفعة ... وما العيب إلا أن أكون مسابه
ولو لم تكن نفسى على عزيزة ... لمكنتها من كل نذل تحاربه
ولو أننى أسعى لنفعى وجدتنى ... كثير التوانى للذى أنا طالبه
ولكننى أسعى لأنفع صاحبى ... وعار على الشبعان إن جاع صاحبه

• • •

(١) فى الأبيات روح التسامح التى عشناها فى غيرها من أبيات هذا الباب .
(٢) « كما أنه قد حشى قلبى محبات » فى هذا الشطر ركاكة واضحة ولو قال « كانه قد . » لكان أفضل وكلمة حشى ليست ملائمة فى إيقاعها وإن كانت توحى بالضيق والتحمل .
(٣) حيلة الأولياء ص ١٤٨ - ٩ .
(٤) رواية آداب الشافعى للرازى لكى يكرمونها . . ولن تكرم .آدب الشافعى للرازى ص١٢٧ .
(٥) فى الشطر الأول من هذا البيت حذف غير بلاغى إذ خاف الشاعر جواب من « ومن قضت الرجال له حقوقا . . » ما الجواب ؟ أو ما النتيجة؟ الله أعلم . . ماذا عليه أن يفعل .

يخاطبنى السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما ... كعود زاده الإحراق طيبا

الفضل (١)

أرى الغر فى الدنيا إذا كان فاضلا ... يرقى على روس الرجال ويخطب
وإن كان مثلى لا فضيلة عنده ... يقاس بطفل فى الشوارع يلعب

الزهد ومصير الظالمين

بلوت (٢) بنى الدنيا فلم أر فيهم ... سوى من غدا والبخل ملء إهابة (٣)
فجردت من غمد القناعة صارما ... قطعت رجائى منهم بذبابة (٤)
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه ... ولا ذا يرانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغنى إلا عن الشىء لا به (٥)
إذا ما ظالم استحسن الظلم مذهبا ... ولج عتوا (٦) فى قبيح اكتسابه (٧)
فكله إلى صرف الليالى فإنها ... ستدعى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا ... يرى النجم تيها (٨) تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو فى غفلاته ... أناخت (٩) صروف الحادثات ببابه
فاصبح لا مال ولا حياة يرتجى ... ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وجوزى بالأمرى الذى كان فاعلا ... وصب عليه الله سوط عذابه

(١) وردت فى الديوان تحت عنوان «غرور المظهر» وهو لا يوحى بالمضمون .
(٢) بلوت : اختبرت وجربت .
(٣) الإهاب : على وزن كتاب الجلد ك١ وما لم يدبغ .
(٤) الصارم : السيف القاطع، ذباب السيف : حده وأطرافه .
(٥) به : الهاء فى به راجعة الى الشىء . أى الغنى عن الشىء وليس الشىء .
(٦) العتو : الاستكبار والتجبر وقيل العاتى هو المبالغ فى ركوب المعاصى، المتمرد الذى لا يقع منه الوعظ والتنبيه موقعا .
(٧) وردت فى المستطرف ج٢ ص ٤٥ .
(٨) تيها : عجبا وغرورا .
(٩) أناخت : نزلت .

السكوت سلامة

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم ... إن الجواب لباب الشر مفتاح
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف ... وفيه أيضا لصون العرض إصلاح
أما ترى الأسد تخشى وهى صامتة ؟ ... والكلب يخسى (١) لعمرى وهو نباح

الصمت خير من حشو الكلام

لا خير فى حشو الكلام ... إذا اهتديت إلى عيونه (٢)
والصمت اجمل بالفتى ... من منطق فى غير حينه
وعلى الفتى لطباعه ... سمة تلوح على جبينه

فضل السكوت

وجدت سكوتى متجرا فلزمته ... إذا لم اجد ربحا فلست بخاسر
وما الصمت إلا فى الرجال متاجر ... وتاجره يعلو على كل تاجر

ومما تمثل به الإمام :

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه ... وإن خليته كمدا (٣) يموت

• • •

(١) يخسى : يرمى بالحصى .
(٢) البيتان الأول والثانى دعوة إلى اختيار وقت الكلام والاكتفاء بما يفيد .
(٣) كمدا : حزنا وفى مثل معناه قول القائل :

اصبر على مضض الحسود ... فإن صبرك قاتله
فالنار تاكل نفسها ... إن لم تجد ما تاكله

باب الفخر والعزة بالنفس

الاعتزاز بالنفس (١)

ما حك جلدك مثل ظفرك ... فتول أنت جميع أمرك
وإذا قصدت لحاجة ... فاقصد لمعترف بقدرك

علو الذكر

المرء يحظى ثم يعلو ذكره ... حتى يزين بالذي لم يفعل
وترى الشقي إذا تكامل عيبه ... يشقى وينحل (٢) كل ما لم يعمل

الإيثار والجود

أجود بموجود ولو بت طاويا (٣) ... على الجوع كشحا (٤) والحشا (٥) يتالم
وأظهر أسباب الغنى بين رفقتي ... لخفاهم حالي وإني لمعدم
وبيني وبين الله ... حقيقا فإن الله بالحال أعلم

عزة النفس

لقلع ضرس وضرب حبس ... ونزع نفس ورد أمس
وقر (٦) برد وقود فرد (٧) ... ودبغ جلد بغير شمس
وأكل ضب وصيد دب ... وصرف حب بأرض خرس (٨)
ونفخ (٩) نار وحمل عار ... وبيع دار بربع فلس (١٠)
أهون من وقفة الحر ... يرجو نوالا (١١) بباب نحس

---

(١) وردت في الديوان تحت عنوان اعمل بنفسك .
(٢) ينحل : ينسب إليه .
(٣) طاويا : جائعا وفعله طيا فهو طاو وطيان .
(٤) كشحا : ما بين السرة ووسط الظهر ومنه يقال طوى كشحه على الأمر استمر عليه .
(٥) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع ومنه يقال انا في حشا فلان اى في كنفه .
(٦) القر : شدة البرد ومنه ليلة قارة ويوم قار : أى شديد البرد . (انظر مختار الصحاح) .
(٧) قود : القصاص ، والفعل اقاد القاتل بالقتيل قتله به .
(٨) خرس : اى لا تنبت زرعا ولا كلا ، ومنه سحابة خرساء : اى ليس فيها وعد ولا برق .
(٩) « ونفخ نار وحمل عار فيها مبالغة لا تناسب شخصية الإمام » .
(١٠) فلس : جمعه فلوس : هو حبل السفينة الضخم في أصل الاستعمال . والألف الأولى عدد أما الثانية فمعناها الصاحب .
(١١) النوال : العطاء .

الهمة العالية

امطري لؤلؤ جبال سرنديب ... وفيضي آبار تكرور تبرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتا ... وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفر (١)
وإذا ما قنعت بالقوت عمري ... فلماذا أزور زيدا وعمرا

قوة

حديث الحسين بن محمد الزعفراني قال : سئل الشافعي عن مسالة فاجاب فيها ثم أنشأ يقول (٢) .

إذا المشكلات تصدين (٣) لي ... كشفت حقائقها للنظر
لسان كشقشقة (٤) الأرحبي (٥) ... وكالحسام اليماني الذكر
ولست بإمعة (٦) في الرجال ... أسائل هذا وذا ما الخبر؟
ولكنني مدره (٧) الأصغرين (٨) ... جلاب خير وفراج شر

الشاعر المنطيق (٩)

ماذا يخبر ضيف بيتك أهله ... إن سيل كيف معاده ومعاجه
أيقول : جاوزت الفرات ولم أنل ... ريا لديه وقد طغت أمواجه

---

(١) تصوير المذلة بالكفر لا مبرر له ولعلك تحس بالمبالغة في الفخر وهذا ليس من طبيعة العلماء .
(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٨١ - ص ٣٠٩
(٣) تصدين : تعرضن .
(٤) الشقشقة : شيء كالريق يخرجه البعير من فيه إذا هاج وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة اى فإنما يشبه بالفحل .
(٥) الأرحبي : نسبة الى أرحب ، قبيلة من بني رحب ، ومنها النجائب الأرحبيات .
(٦) الإمعة : الرجل الذي لا رأي له .
(٧) مدره : المدره : المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال . وزعيم القوم والمتكلم منهم .
(٨) الأصغران : القلب واللسان . كما في الحديث « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » .
(٩) أورد هذه الأبيات صاحب وفيات الأعيان بالمجلد الثالث ص٣٠٨ (سيل اى سئل) .

ورقيت فى درج العلا فتضايقت عما أريد شعابه (١) وفجاجه (٢)
ولتخبرن خصاصتى (٣) بتملقى والماء يخبر عن قذاه (٤) زجاجه
عندى يواقيت القريض ودره وعلى إكليل الكلام وتاجه
تربى على روض الربا (٥) أزهاره ويرف فى نادى الندى ديباجه
والشاعر المنطيق أسود سالخ والشعر منه لعابه ومجاجه
وعداوة الشعراء داء معضل ولقد يهون على الكريم علاجه (٦)

الجـــود

إذا لم تجودوا والأمور بكم تمضى وقد ملكت ايديكم البسط والقبضا
فماذا يرجى منكم إن عزلتم وعضتكم الدنيا بأنيابها عضا
وتسترجع الأيام ما وهبتكم ومن عادة الأيام تسترجع القرضا

حقـوق النـاس

عن خشية بن سليمان بن حيدر قال: جاء رجل الى الشافعى فقال له ـ رحمه الله تعالى ـ صديقك فلان عليل، فقال الشافعى: والله لقد أحسنت إلىّ وأيقظتنى لمكرمة ودفعت عنى اعتذارا يشوبه الكذب ثم قال:

يا غلام، هات السبتية ثم قال: للمشى على الحفاء على علة الوجاء فى الرمضاء من ذى طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب ثم انشأ يقول.

(١) الشعب: جمع شعاب وهو الطريق فى الجبل.
(٢) فجاج: مفرده فج وهو الطريق والناحية.
(٣) خصاصتى: من خص خصاصة وخصاصا افتقر والخصاصة الفقر وخاصة الإنسان قرابته.
(٤) قذاه: القذى ما يقع فى الماء والعين من تبنة وسواها والقذى يأتى العيب.
(٥) الربا: جمع ربوة، وهو ما ارتفع من الأرض. أسود سالخ: الأسود الثعبان. والسلخ الثعبان الخارج من جلده.
(٦) بعيد أن يكون هذا هو تعبير الإمام عن نفسه، ففى الأبيات استجداء واضح وتهديد صريح بالهجاء والعداوة كما ان فيها من التكلف ما لا يليق ببلاغة الإمام رضى الله عنه.

أرى راحة للحق عند قضائه ويثقل يوما إن تركت على عمد
وحسبك حظا ان ترى غير كاذب وقولك لم أعلم وذاك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه وصاحبه الأدنى على القرب والبعد
يعش سيدا يستعذب الناس ذكره وإن نابه حق أتوه على قصد

منتهى الجـود

يا لهف نفسى (١) على مال افرقه فتول أنت جميع أمرك
إن اعتذارى إلى من جاء يسالنى فاقصد لمعترف بقدرك

• • •

(١) يا لهف: يا حسرة نفسى والفعل لهف والتلهف على الشيء التحسر والحزن عليه.

باب من أمراض النفس

فساد طبائع الناس

لم يبق فى الناس إلا المكر والملق   شوك، إذا لمسواء زهر إذا رمقوا
فإن دعتك ضرورات لعشرتهم   فكن جحيما لعل الشوك يحترق

حصيد البدع

لم يبرح الناس حتى أحدثوا بدعا   فى الدين بالرأى لم يبعث بها الرسل
حتى استخف بدين الله أكثرهم   وفى الذى حملوا من حقه شغل

الأمراض من ثلاث

ثلاث هن مهلكة الأنام   وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة (١) ودوام وطء   وإدخال الطعام على الطعام

مداراة الحساد

وداريت كل الناس لكن حاسدى   مداراته عزت منالها
وكيف يدارى المرء حاسد نعمة   إذا كان لا يرضيه زوالها

مرارة تحميل الجميل (٢)

لا تحملن لمن يمن   من الأنام عليك منه
واختر لنفسك حظها   واصبر فإن الصبر جنه (٣)
منن الرجال على القلوب   أشد من وقع الأسنه

المنة

رأيتك تكوينى بميسم منة   العيش تكفينى إلى يوم تكوينى (٤)
فدعنى من المن الوخيم فلقمة من   العيش تكفينى إلى يوم تكفينى (٥)

(١) مدامة : خمر .
(٢) جواهر الآداب للهاشمى ط - ٤٦١ .
(٣) جنة : بضم الجيم أى وقاية .
(٤) تكوينى الأول من الكى، أما الثانية فهى من التكوين وهو الخلقة .
(٥) تكفينى : من الكفاية، والثانية من الكفن .

شح الأنفس

حدثنا عبد الله الأصبهانى حدثنا أبو نصر قال : سمعت أبا عبدالله ابن أخى وهب يقول : سمعت الشافعى يقول (١) .

وانطقت الدراهم بعد صمت   أناسا بعد ما كانوا سكوتا
فما عطفوا على أحد بفضل   ولا عرفوا لمكرمة ثبوتا

الكفر بالمنجمين

خبرا عنى المنجم (٢) أننى   كافر بالذى قضته الكواكب
عالما أن ما يكون وما كان   قضاء من المهيمن واجب

• • •

(١) حلية الأولياء للأصبهانى ج٩ - ص ١٤٠ .
(٢) المنجم : أى من يطلع فى النجوم ويقرأ الطالع والكف وغير ذلك وهو من الضلالات .

باب السفر وفوائده

فى أبياتهذا الجزء ومقطوعاته تصميم وعزيمة، واستهانة بالمخاطر، كما تبدو فيه حيوية الإمام ولعلها مما تمثل به بل ونفذها فى حياته فاستعذب السفر والرحيل حتى استقر به المقام فى أرض مصر.. وفيها انتشر مذهبه .

للسفر خمس فوائد

تغرب عن الأوطان فى طلب العلا ... وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد (١)

الحض على السفر من أرض الذل

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ... ولا تكن من فراق الأهل فى حرق
فالعنبر الخام روث فى مواطنه ... وفى التغرب محمول على العنق
والكحل نوع من الأحجار تنظره ... فى أرضه وهو مرمى على الطرق
لما تغرب حاز الفضل أجمعه ... فصار يحمل بين الجفن والحدق (٢)

حب الأهل والبلاد

إن الغريب له مخافة سارق ... وخضوع مديون وذلة موثق
فإذا تذكر أهله وبلاده ... ففؤاده كجناح طير خافق

الحض على الترحل

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضا عمن تفارقه ... وانصب (٣) فإن لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسده ... إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الأرض ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة ... لملها الناس من عجم ومن عرب
والتبر (٤) كالترب ملقى فى أماكنه ... والعود فى أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه ... وإن تغرب ذاك عز كالذهب

• • •

---

(١) ماجد : من مجد الرجل صار كريما ذا خلق طيب والماجد كريم النفس طيب الخلق .
(٢) ترى فى الأبيات جانب الإقناع العقلى بفضل السفر.. حتى لتشعر أن السفر والتغرب ضرور لطلب المعالى .
(٣) انصب : فعل أمر من نصب نصبا : جد فى الأمر واجتهد فيه .
(٤) التبر : الذهب .
وفى الأبيات نفس الاتجاه السابق فيما جاء تحت عنوان الحض على السفر .

باب تقلب الأحوال

الجد

فإذا سمعت بأن مجدودا حوى ... عودا فأثمر فى يديه فصدق
وإذا سمعت بأن محروما أتى ... ماء ليشربه فغاض فحقق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتنى ... بنجوم أقطار السماء تعلقى
لكن من رزق الحجا (١) حرم الغنى ... ضدان مفترقان أى تفرق (٢)
وأحمق خلق الله بالهم امرؤ ... ذو همة يبلى برزق ضيق
ومن الدليل على القضاء وحكمه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق
إن الذى رزق اليسار فلم ينل ... أجرا ولا حمدا لغير موفق
والجد (٣) يدنى كل أمر شاسع (٤) ... والجد يفتح كل باب مغلق

الدهر يوم لك ويوم عليك

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر ... والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قاعه الدرر
وفى السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يكسف إلا الشمس والقمر (٥)

اليقظة والحذر

تاه الأعيرج (٦) واستعلى به الخطر ... فقل له خير ما استعملته الحذر
أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر (٧)

---

(١) الحجا : العقل .
(٢) ليس الامر كما قال لان العاقل الذكى ليس فقيرا بالضرورة وليس كل غنى سفيهها أحمق .
(٣) الجد : بفتح الجيم (الحظ) . وهو معنى عنوان الأبيات .
(٤) شاسع : بعيد .
(٥) فى هذه الأمور تسكين لنفس الإنسان وإقناعه بالرضا حتى لا يجهد عقله فى قياس حظهمن الذكاء بحظه من المال والجاه .
(٦) حية صماء كالأفعى قال الليث لا يؤنث والجمع الأعيرجات .
(٧) وردت فى المستطرف ج٢ - ص٥١ وفيه (واستعلى به البطر) .

باب أدب الكلمة

احذر الناس

إذا رمت أن تحيا سليما من الردي ... ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينطقن منك اللسان بسوأة[1] ... فكلك سوءات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايبا ... فدعها، وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف، وسامح من اعتدى ... ودافع ولكن بالتي هي أحسن

دية الذنب الاعتذار

قيل لي قد أسى عليك فلان ... ومقام الفتى على الذل عار
قلت قد جاءني وأحدث عذرا ... دية الذنب عندنا الاعتذار

التماس العذر

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن بر[2] عندك فيما قال أو فجر[3]
لقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك[4] من يعصيك مستترا

من الورع اشتغالك بعيوبك

المرء إن كان عاقلا ورعا ... أشغله عن عيوب غيره ورعه
كما العليل السقيم أشغله ... عن وجع الناس كلهم وجعه

آداب النصح

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تجزع إذا لم تعط طاعه

---

(١) السوأة : النقص .
(٢) بر : صدق .
(٣) فجر : كذب .
(٤) أجلك : عظمك واحترمك .

واعظ الناس

يا واعظ الناس عما أنت فاعله ... يا من يعد عليه العمر بالنفس
احفظ لشيبك من عيب يدنسه ... إن البياض قليل الحمل للدنس
كحامل لثياب الناس يغسلها ... وثوبه غارق في الرجس والنجس
تبغي النجاة ولم تسلك طريقتها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس
ركوبك النعش ينسيك الركوب على ... ما كنت تركب من بغل ومن فرس
يوم القيامة لا مال ولا ولد ... وضمه القبر تنسى ليلة العرس

ومما جاء في الوفاء بالوعد - واظنه مما كان الإمام الشافعي يتمثل به - قول القائل (١)

الوفاء بالوعد

إذا قلت في شيء نعم فأتمه ... فإن (نعم) دين على الحر واجب
وإلا فقل (لا) تستريح وترد بها ... لئلا يقول الناس إنك كاذب

وقول الآخر :

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجد
فلا تعد عدة إلا وفيت بها ... واحذر خلاف مقال للذى تعد

حفظ اللسان

جاء في المستطرف ج١ ص ٦٩ .

قال الإمام الشافعي رضى الله عنه لصاحبه الربيع : يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها، وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ومما أنشدوه في هذا الباب .

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الأقران (٢)

---

(١) انظر المستطرف في كل فن مستظرف .
(٢) وهذه الرواية تدل على ان الشافعي إنما كان يتمثل بأقوال غيره .. ولم يكن شاعرا وإن كانت لديه مواهب فقد استغلها في العلم والفقه .

باب التوجه إلى الله تعالى

الوقار وخشية الله

ولولا الشعر بالعلماء يزرى — لكنت اليوم أشعر من لبيد (١)
وأشجع فى الوغى من كل ليث — وآل مهلب وبنى يزيد
ولولا خشية الرحمن ربى — حسبت الناس كلهم عبيدى

التسليم الخاص

إذا أصبحت عندى قوت يومى — فخل الهم عنى يا سعيد
ولا تخطر هموم غد ببالى — فإن غدا له رزق جديد
أسلم إن أراد الله أمرا — فأترك ما أريد لما يريد

لا تقنط من رحمة الله

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا (٢) — وتخاف فى يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه — وأفاض من نعم عليك مزيدا
لا تيأس من لطف ربك فى الحشا — فى بطن أمك مضغة ووليدا (٣)
لو شاء أن تصلى جهنم خالدا — ما كان ألهم قلبك التوحيد (٤)

من راقب الله رجع

حسبى بعلمى إن نفع — ما الذل إلا فى الطمع
من راقب الله رجع — ما طار طير وارتفع
إلا كما طار وقع (٥)

(١) الشعر المرفوض الذى لا يرضاه الإسلام هو الشائن للخلق الذى ينال من الأعراض وغير ذلك وهو الذى قال عنه النبى ﷺ « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلىء شعرا » والله أعلم .
(٢) جليد : أى مصرا .
(٣) فى البيت ضعف واضح فلا داعى لقوله « فى الحشا » أو « مضغة » لأن قوله « فى بطن أمك » يشتمل على كل ذلك .
(٤) أن العناية الإلهية الرحيمة أرادت بالمؤمنين خيرا . فالحمد لله على نعمة الإيمان .
(٥) هذه المقطوعة يستبعد أن يكون الإمام قالها أو حتى تمثل بها فلا علاقة بين أولها وآخرها كما هو واضح .

استغفار وتوبة

قلبى برحمتك اللهم ذو أنس فى — السر والجهر والإصباح والغلس (١)

قال الربيع : سمعت الشافعى يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، وعن الربيع قال أنشدنى الشافعى (٢) :

لم يفتنا الناس حتى أحدثوا بدعا — فى الدين بالرأى لم يبعث بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم — وفى الذى حملوا من حقه شغل

التوكل فى طلب الرزق

توكلت فى رزقى على الله خالقى — وأيقنت أن الله لاشك رازقى
ومايك من رزق فليس يفوتنى — ولو كان فى قاع البحار العوامق
سيأتى به الله العظيم بفضله — ولو لم يكن منى اللسان بناطق
ففى أى شىء تذهب النفس حسرة — وقد قسم الرحمن رزق الخلائق

ليس كل شىء بالعقل

لو كنت بالعقل تعطى ما تريد إذن — لما ظفرت من الدنيا بمرزوق
رزقت مالا على جهل فعشت به — فلست أول مجنون ومرزوق

المشيئة الإلهية

قال ابن كثير (٣) : كان الشافعى يقول : القرآن كلام غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وقد كان يمر بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف على طريقة السلف .

قال ابن خزيمة : أنشدنى المزنى وقال : أنشدنى الشافعى لنفسه قوله :

ماشئت كان، وإن لم أشا — وماشئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد لما قد علمت — ففى العلم يجرى الفتى والمسن
فمنهم شقى، ومنهم سعيد — ومنهم قبيح ، ومنهم حسن
على ذا ،منت، وهذا خذلت — وذاك أعنت، وذا لم تعن

(١) الغلس : الظلام .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٢٥٤ .. وقد سبقت هذه الأبيات .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٢٥٤ .

البعد عن أبواب الملوك

إن الملوك بلاء حيثما حلوا ... فلا يكن لك فى أبوابهم ظل
ماذا تؤمل من قوم إذا غضبوا ... جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ... إن الوقوف على أبوابهم ذل

تذلل واستغاثة

بموقف ذلى عن عزتك العظمى ... بمختفى سر لا أحيط به علما
بإطراق راسى، باعترافى بذلتى ... بمد يدى، استمطر الجود والرحمى (١)
بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها ... بعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من الست بربكم؟ (٢) ... بمن كان مجهولا فعرف بالأسماء
أذقنا شراب الأنس يا من إذا سقى ... محبا شرابا لا يضام ولا يظما (٣)

أمانى الإنسان

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

نكران الجميل

تعصى الإله وانت تظهر حبه ... هذا محال فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع
فى كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وأنت لشكر ذاك مضيع

لا أبالى (٤)

أنت حسبى، وفيك للقلب حسب ... وحسبى إن صح لى فيك حسب
لا أبالى متى وِدادك لى صح ... فرجت، وكنت أظنها لا تفرج

---

(١) الرحمى : الرحمة .
(٢) الست بربكم : إشارة إلى العهد القديم المأخوذ على بنى آدم فى القرآن الكريم - فى قوله تعالى : ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى .. ﴾ واستخدم ﴿ألست بربكم﴾ كناية عن قدم العهد .
(٣) يضام : يظلم .
(٤) فى البيتين ركاكة واضحة وخاصة تكرار لفظ « حسب » فى البيت الأول، وأحسن منهما قول القائل :

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

كلما اشتدت فرجت

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ... ذرعا ، وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت، وكنت أظنها لا تفرج

الرضا بقضاء الله وقدره (١)

دع الأيام تفعل ما تشاء ... وطب (٢) نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع (٣) لحادثة (٤) الليالى ... فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال (٥) جلدا (٦) ... وشيمتك (٧) السماحة والوفاء
وإن كثرت عيوبك فى البرايا (٨) ... وسرك أن يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب ... يغطيه كما قيل السخاء (٩)
ولا تر للأعادى قط ذلا ... فإن شماتة الأعداء (١٠) بلاء
ولا ترج (١١) السماحة من بخيل (١٢) ... فما فى النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى ... وليس يزيد فى الرزق العناء (١٣)
ولا حزن يدوم ولا سرور ... ولا بؤس (١٤) عليك ولا رخاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا ... فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن ... إذا نزل القضا ضاق الفضاء
دع الأيام تغدر كل حين ... فما يغنى عن الموت الدواء

---

(١) جواهر الأدب ج٢ - ص٢٤٦ للمرحوم السيد أحمد الهاشمى .
(٢) طب : من طاب يطيب طيبا وطابا وتطيابا . لذا وحلا وحسن وجاد . ويقال : طابت النفس بكذا، انشرحت .
(٣) الجزع : ضد الصبر وبابه طرب، ويقال جزع من الشيء واجزعه غيره .
(٤) حادثة الليالى : مصائبها ، ومنه أحداث الدهر : مصائبه : مصائبه، وحوادث الدهر نوائبه
(٥) الأهوال: جمع هول، من هال يهول هولا، ومنه هال الأمر فلانا أفزعه . والأهوال هنا المخاوف والمصائب
(٦) جلدا : شديدا، قويا . من جلد .
(٧) شيمتك : خلقك . الشيمة: الخلق .
(٨) البرايا : المخلوقات ، ومفردها برية والأصل بهمزة والفعل برا .
(٩) السخاء : الجود . والسخى، الجواد .
(١٠) الأعدا : الأصل الأعداء وحذفت الهمزة لضرورة الشعر .
(١١) ترج : تأمل . وأصل الفعل ترجو وأصل ترجو رجا، أى آمل قلبت الهمزة واو .
(١٢) السماحة : الجود والعطاء والصفح والفضل، وهى من سمح سماحة أى جاد، وسمح له أعطاه
(١٣) العناء : التعب والنصب والفعل عنى والمصدر عناء .
(١٤) البؤس : الحاجة والفقر والبأس . وتقول : بؤس ويبأس ويئس الرجل بالكسر بؤسا وبئيسا اشتدت حاجته .

باب الدعاء

اتق دعوة المظلوم

ورب ظلوم (١) قد كفيت بحربه ... فأوقعه المقدور أى وقوع
فما كان لى الإسلام إلا تعبدا ... لا تتقى بدروع
وحسبك أن ينجو الظلوم وخلفه ... سهام دعاء من قسى (٢) ركوع
مريشة بالهدب (٣) من كل ساهر ... منهلة (٤) أطرافها بدموع

قيمة الدعاء

أتهزأ بالدعاء وتزدريه (٥) ... وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطئ ولكن ... لها أمد (٦) وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربى ... ويرسلها إذا نفذ القضاء (٧)

• • •

(١) ظلوم : صيغة مبالغة أى كثير الظلم .
(٢) القسى : السهام النسوب .
(٣) مريشة بالهدب : كناية عن لصق شعر الأهداب فيها كما يلصق الشعر على مؤخرة السهام ليزيده سرعة، والمعنى : اتق دعوة المظلوم فإنها أشد نفاذا من السهام المريشة وإن كان ريشها هدب العيون ومددها عين المظلوم .
(٤) منهلة : مبللة .
(٥) تزدريه : تحقره وتستهين به من زرى عليه فعله، عابه . والمصدر زراية .
(٦) الأمد : الغاية ومنتهى الشيء والجمع آماد ومنه قوله تعالى : ﴿فطال عليهم الأمد﴾ أى الأجل .
(٧) فى المستطرف غير منسوبة (٧) ص ٨٦ وزاد سهام الليل نافذة وفى مثل معناه :

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم ... فإن سقمت فإنا السالمون غدا
دعت عليك أكف طالما ظلمت ... ولن ترد يد مظلومة أبدا

باب العلم

مناظرة

جرى بين الشافعي وبعض من صحبة مجانة فقال (١)

وأنزلنى طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت أمرا لا أشاكله
أحامقه (٢) حتى تقال سجية (٣) ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

قال الأصبهاني : حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا الحسين بن محمد بن غوث الدمشقي قال : سمعت المزني يقول : كلم الشافعي فى بعض ما يراد منه فانشا يقول :

ولقد بلوتك وابتليت خليقتى ... ولقد كفاك معلمى تعليمى

زينة الإنسان العلم والتقوى

أصبر على مر الجفا من معلم ... فإن رسوب العلم فى نفراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعا لوفاته (٥)
وذات الفتى والله بالعلم والتقى ... إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

بالعلم تبنى الأمجاد

رأيت العلم صاحبه كريم ... ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن ... يعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه فى كل حال ... كراعى الضأن تتبعه السوام (٦)
فلولا العلم ما سعدت رجال ... ولا عرف الحلال ولا الحرام

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ - ص ٣١٠ .
(٢) أحامقه : أجاريه فى حمقه .
(٣) سجية : طبيعة وفطرة .
(٤) يعنى أنه لن يتغير .
(٥) إشارة إلى صلاة الجنازة .
(٦) السوام : جمع سائمة وهى الأغنام وغيرها .

العلم ما حفظت

علمي حيثما يممت (١) ينفعني ... قلبي وعاء له لابطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

أدب المناظرة

إذا ما كنت ذا فضل وعلم ... بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر في سكون ... حليما لا تلح ولا تكابر
يفيدك ما استفاد بلا امتنان ... من النكت اللطيفة والنوادر
وإيا اللجوج ومن يرائي ... بأني قد غلبت ومن يفاخر
فإن الشر في جنبات هزل ... يمني بالتقاطع والتدابر

المرء بما يعلمه

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه الجحافل
وإن صغير القوم إن كانت عالما ... كبير إذا ردت إليه المحافل

تواضع العلماء

كلما أدبني الدهر ... أراني نقص عقل
وإذا ما ازددت علما ... زادني علما بجهلي

نور العلم يسطع بترك المعاصي

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
واخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

شروط تحصيل العلم ستة

اخي لن تنال العلم إلا بستة ... سانبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة (٢) ... وصحبة أستاذ، وطول زمان

---

(١) يممت : توجهت .
(٢) بلغة : هي ما يتبلغ به الإنسان من أمور المعاش يعني أقل القليل .

مفخرة الإنسان العلم

العلم مغرس (١) كل فخر فافتخر ... واحذر يفوتك فخر ذاك المغرس
واعلم بأن العلم ليس يناله ... من همه في مطعم أو ملبس
إلا أخو العلم الذي يعنى به ... في حالتيه عاريا أو مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظا وافرا ... واهجر له طيب الرقاد وعبس (٢)
فلعل يوما إن حضرت بمجلس ... كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

جهاده في طلب العلم

سهري لتنقيح العلوم الذ لي ... من وصل غانية (٣) وطيب عناق
وصرير (٤) اقلامي على صفحاتها ... أحلى من الدوكاء (٥) والعشاق
والذ من نقر الفتاة لدفعها ... نقري لالقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لحل عويصة (٦) ... في الدرس أشهى من مدامة ساقي
وأبيت سهران الدجا وتبيته ... نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي ؟

يأتي العلم بالتفرغ

لا يدرك الحكمة من عمره ... يكدح في مصلحة الأهل
ولا ينال العلم إلا فتى ... خال من الأفكار والشغل
لو أن لقمان الحكيم الذي ... سارت به الركبان بالفضل
بلى بفقر وعيال لما ... فرق بين التبن والبقل

الناس خدم العلم

العلم من فضله، لمن خدمه ... أن يجعل الناس كلهم خدمه
فواجب صونه عليه كما ... يصون الناس عرضه ودمه
فمن حوى العلم ثم أودعه ... بجهله غير أهله ظلمه

---

(١) مغرس : أرض (مكان الغرس)
(٢) عبس : يقصد تحمل الآلام والكآبة في سبيل العلم .
(٣) غانية : جميلة (سميت كذلك لاستغنائها بجمالها الطبيعي)
(٤) صرير : صوت .
(٥) الدوكاء : الصياح والأنغام .
(٦) عويصة : أي مسألة صعبة .

اخبر عثمان بن محمد العثماني وحدث عنه أبو محمد بن حيان قال : حدثنا أبو علي النيسابوري - ببغداد - حدثني بعض أصحابنا ان محمد بن إدريس الشافعي لما دخل مصر أتاه جلة أصحاب مالك وأقبلا عليه فابتدأ يخالف ثم أنشد قائلا :

العلم ومكانته

أأنثر درا [1] بين سارحة البهم [2] ... وأنظم منثورا [3] لراعية الغنم؟
لعمرى لئن ضيعت فى شر بلدة ... فلست مضيعا فيهم غرر الكلم [4]
لئن سهل الله العزيز بلطفه [5] ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت [6] مفيدا واستفدت ودادهم ... وإلا فمكنون لىَّ ومكتتم
ومن منح الجهال علما اضاعه ... ومن منع المستوجبين [7] فقد ظلم [8]

أفضل العلوم

وقال الشافعى رحمه الله تعالى بعد حديثه: إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث، فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، جزاهم الله خيرا، حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل :

وكل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وعلم الفقه فى الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

ولنا على ذلك تعليق أن هناك العلوم التجريبية النافعة للناس إذا استخدمت فى وجوهها ولعلهم كانوا متأثرين بما كان سائدا من خروج على الدين باسم الفلسفة وغيرها .

(١) وفى حلية الأولياء للأصبهانى ج٩ - ص١٥٣ وسط وفى معجم الأدباء بين ص٣٠٧ - ج١٧ .
(٢) البهم: اسم، جمع بهمة، وهى عجماوات الضأن والمعز. وقد ورد هذا البيت فى موضع آخر بلفظ (النعم).
(٣) وفى حلية الأولياء ج٩ - ١٥٣ النظم بدل وانظم .
(٤) وفى حلية الأولياء الحكم بدل الكلم ج٩ - ص١٥٣
(٥) (فإن فرج الله اللطيف) بدلا من لئن سهل الله .. حلية الأولياء ج٩ - ص ١٥٣ .
(٦) بثثت : نشرت .
(٧) المستوجبين : المستحقين الجديرين بتلقى العلم .
(٨) معجم الأدباء لياقوت ج١٧ - ص ٣٠٧ . وقريب منه ما ورد فى الخبر « واضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر » والله أعلم .

قال الأصبهانى : حدثنا محمد بن عبدالرحمن ، قال : سمعت محمد بن بشير الآبرى يقول : كنت عند الشافعى فجاء رجل فكلمه بكلام، فأنشأ الشافعى يقول [1] :

جنونك مجنون ولست بواجد ... طبيبا يداوى من جنون مجنون [2]

الفقه والتصوف متلازمان

فقيها وصوفيا فكن ليس واحدا ... فإنى وحق الله إياك أنصح
فذلك قاس [3]، لم يذق قلبه تقى ... وهذا جهول [4]، فكيف بالله يصلح

• • •

(١) البداية والنهاية لابن كثير الحافظ ج١٠ - ص٢٥٤ . حلية الأولياء ص ١٤٧ .
(٢) فى البيت تكلف واضح ولا معنى له فكيف يكون الجنون مجنونا؟ إنه عودة للعقل . كما نقول : خرب الخراب اى صار عامرا وهو يريد غير ذلك .
(٣) أى أن الفقيه قاس إذا لم يكن عنده ورع .
(٤) أى أن الصوفى عرضة للفساد إذا لم يكن عالما وهذا معنى جيد .

باب حب آل البيت والأئمة

الإمام فى أبيات هذا الباب يحاول جهده أن يقتلع فكرة خاطئة سادت فى الجو الفكرى لمدة طويلة فلقد انتشرت الفرق، وتشبثت كل فرقة بمبادىء ما أنزل الله بها من سلطان واتخذ الخلاف بين المسلمين أبعادا خطيرة فالخوارج كفرت غيرهم واستحلت دماء الأئمة ، والشيعة كانت لها آراء متطرفة .. وكل ذلك أدى إلى تفكك الأمة الإسلامية .

حبه لآل البيت

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بقاعد خفيها والناهض
سحر إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضا كملتطم الفراق الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أنى رافض [1]

حبه لآل البيت والخلفاء الراشدين

إذا نحن فضلنا عليا فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبى بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصب [2] عند ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبيهما حتى أوسد فى الرمل

حبه لآل البيت فرض من الله

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له [3]

حب على وسبطيه وفاطمة

إذا فى مجلس نذكر عليا ... وسبطيه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرافضية
برئيت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حب الفاطمية

---

(١) الروافض هم جماعة من الشيعة يرفضون إمامة أبى بكر وعمر ويرون أنهما اغتصبا الخلافة من على ـ ولاشك أن فى ذلك مغالاة ولا يلزم أن يكون الإنسان رافضيا ليحب آل البيت .. ولا مانع من حب آل البيت وجميع الصحابة معا ـ والله أعلم .

(٢) ما يؤكد الجهل الذى ينتشر مع التعصب والمغالاة بين الفرق .

(٣) وذلك فى التشهد .

الترفض

قالوا ترفضت، قلت : كلا ... ما الرفض دينى ولا اعتقادى
لكن توليت غير شك ... خير إمام وخير هادى
إن كان حب الولى رفضا ... فإن رفضى إلى العباد

الخلفاء الراشدون

شهدت بأن الله لا رب غيره ... وأشهد أن البعث حق وأخلص
وأن عرا الإيمان قول مبين ... وفعل زكى قد يزيد وينقص
وأن أبا بكر خليفة ربه ... وكان أبو حفص [1] على الخير يحرص
أئمة قوم يهتدى بهداهم ... لحى الله من إياهم يتنقص [2]

أبو حنيفة

لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفة
بأحكام وآثار وفقه ... كآيات الزبور على الصحيفة
فما بالمشرقين له نظير ... ولا بالمغربين ولا بكوفة [3]
فرحمة ربنا أبدا عليه ... مدى الأيام ما قرئت صحيفة

• • •

---

(١) أبو حفص : عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقوله (خليفة ربه) غير دقيق لأن أبا بكر خليفة رسول الله وليس خليفة الله .

(٢) لحى الله فلانا : قبحه .

(٣) لا داعى لقوله « ولا بكوفة » بعد حديثه عن المشرقين والمغربين .

باب شكوى الناس
ومرارة الأيام

نلحظ فى معظم أبيات هذا الباب جوا من الضيق وشكوى الزمن والناس حتى يخيل إلى من يقرؤه أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يائسا أو منعزلا عن الناس، وهذه الأبيات تلائم أصحاب النفوس المضطربة كما يمكن الاستعانة بها على مواقف المعاناة .

ولعلك عندما تقرأ هذه الأبيات تعرف كيف يسودها جو التشاؤم وهو ما ننصح بتجنبه بل ونحذر من الاستسلام له، ونذكر القارىء بدعوة الإسلام إلى التسامح والتعاطف تلك الدعوة التى تعالج النفوس وتطمئن القلوب .

ولعل لسان حال الإمام الشافعى يقول فى هذا الباب :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكل أمـــر منكر
وبقيت فى خلف يمزق بعضه   بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمـــان ليـأتين بمثلهم   حنثت يمينك يا زمـان فكفـر

حيـاة الأشـراف واللئـام

أى حمر ترعى وتعلف ما تهوى   وأسد جياع تظمأ الدهر لا تروى
وأشـراف قـوم لا ينالون قـوتهم   وقـوم لئـام تأكل المن والسلوى
قـضـاء لديان الخـلائق سـابق   وليس على مر القضا أحد يقوى
فمن عرف الدهر الخؤون وصرفه [1]   تصبر للبلوى ولم يظهر الشكوى

ود النـاس

إنى صحبت أناسا ما لهم عدد   وكنت أحسب أنى قد ملأت يدى
لما بلوت أخـلائى [2] وجـدتهم   كالدهر فى الغدر لم يبقوا على أحد
إن غبت فشر الناس يشتمنى   وإن مرضت فخير الناس لم يعد
وإن رأونى بخير ساءهم فرحى   وإن رأونى بشر سرهم نكدى

(١) صرفه : تصرفه وما يصيب به .
(٢) الأخلاء : الأصدقاء .

قلة الإخوان عند الشدائد

ولما أتيت الناس أطلب منهم   أخا ثقة عند ابتلاء الشدائد
تقلبت فى دهرى رخاء وشدة   وناديت فى الأحياء هل من مساعد ؟
فلم أر فيما ساءنى غير شامت   ولم أر فيما سرنى غير جاحد

التنسيك المبطن

حدث عبدالله بن محمد بن جعفر، قال حدثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو حاتم ، حدثنا حرملة قال: سمعت الشافعى يقول [1] :

ودع الـذين إذا أتوك تنسكوا   وإذا خلوا فهم ذئاب حقاف [2]

البلاء من أنفسنا

نعيب زمـاننا والعيب فينا   ومـا لزمـاننا عـيب سـوانا
ونهجو ذا الزمـان بغير ذنب   ولو نطق الزمـان لنا هجـانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب   ويأكل بعضنا بعضا عيانا

الضر من غير قصد

رام نفعا فضر من غير قصد   ومن البر ما يكون عقوقا [3]

مساءة الظن [4]

لا يكن ظنك إلا سـيـئـا   إن سوء الظن من أقوى الفطن(٥)
ما رمى الإنسان فى مخمصة [6]   غير حسن الظن والقول الحسن [7]

(١) الرازى فى كتابة آداب الشافعى ص ٣٧٢ .
(٢) ذئاب حقاف وكذا فى الطبقات والجوهر وهو: حلية الأولياء ج٩ ـ ص١٥٤ذئاب خراف .
(٣) وفيات الأعيان ج٣ ـ ص٣٠٨ . رام: طلب والعقوق الإساءة وهى عكس البر .
(٤) قال فى الديوان تعليقا على البيتين إنهما يستبعد أن يكون للإمام ولكنه أثبته لأمانة النقل فقط ولا يستبعد أن يكون قد تمثل بهما فى موقف استدعاهما .
(٥) الفطن: جمع فطنة وهى من الذكاء والدهاء .
(٦) مخمصة : مجاعة وشدة .
(٧) لعله يقصد الخديعة بالكلام وإلا فقد قال الله تعالى : ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ .

تـرك الهمـوم

سـهـرت أعين، ونامت عيـون ... في أمـور تكون أو لا تكون

فادرأ (١) الهم ما استطعت عن النفس ... فحملانك الهموم جنون

إن ربا كفاك بالأمس ما كان ... سيكفيك في غد ما يكون (٢)

الأصدقاء عند الشدائد

صديق ليس ينفع يوم بؤس ... قريب من عدو في القياس

وما يبقى الصديق بكل عصر ... ولا الإخوان إلا للتآسي

عمرت الدهر ملتمسا بجدى ... أخا ثقة فألهاني التماسي

تنكرت البلاد ومن عليها ... كأن أناسها ليسوا بناسي

أسس الصداقة (٣)

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا ... فدعه ولا تكثر عليه التأسفا

ففي الناس أبدال وفي الترك راحة ... وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا

فما كل من تهواه يهواك قلبه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فلا خير في خل يجيء تكلفا

ولا خير في خل يخون خليلة ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا

وينكر عيشا قد تقادم عهده ... ويظهر سرا كان بالأمس قد خفا

سلام على الدنيا إلا لم يكن بها صد ... يق صدوق الوعد منصفا (٤)

حب الصالحين

أحب الصالحين ولست منهم ... لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي ... ولو كنا سواء في البضاعة

---

(١) ادرأ : ادفع .

(٢) ليس الأمر كذلك والأبيات يسودها جو نفسي كئيب شأن غيرها في هذا الباب .

(٣) وردت في الديوان تحت عنوان « صفو الوداد والخل الصدوق » .

(٤) في الأبيات حكمة ، وتعقل وهي تحدد أين تبدأ الصداقة الحقيقية وأين تنتهي ويغلب على الأبيات الإطار الفكري ولكنها خالية من حرارة الوجدان اللهم إلا من جو الضيق بالناس.. ويبدو التكلف في الشطر الأخير « صديق صدوق صادق » .

نادرة الخالص من الأصحاب

كن سكانا في ذا الزمان بسيره ... وعن الورى كن راهبا في ديره

واغسل يديك من الزمان وأهله ... واحذر مودتهم تنل من خيره (١)

إني اطلعت فلم أجد لي صاحبا ... أصحبه في الدهر ولا في غيره

فتركت أسفلهم لكثرة شره ... وتركت أعلاهم لقلة خيره (٢)

الوحدة خير من جليس السوء

إذا لم أجد خلا تقيا فوحدتي ... ألذ وأشهى من غوى أعاشره

وأجلس وحدي للعبادة آمنا ... أقر لعيني من جليس أحاذره

خيرة الأصحاب

أحب من الإخوان كل مواتي ... وكل غضيض الطرف (٣) عن عثراتي

يوافقني في كل أمر أريده ... ويحفظني حيا وبعد مماتي

فمن لي بهذا؟ ليت أني أصبته ... لقاسمته مالي من الحسنات

تصفحت إخواني فكان أقلهم ... على كثرة الإخوان أهل ثقاتي

مكرم الناس

حدث محمد بن إبراهيم قال : حدث شعيب بن محمد الدبيلي قال أنشدنا الشافعي :

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة ... وليتنا (٤) لا نرى مما نرى أحدا

إن الكلاب لتهدي في مواطنها (٥) ... والخلق ليس بهاد شرهم أبدا

فاهرب (٦) بنفسك واستأنس بوحد ... تها تنل سعدا إذا ما كنت منفردا (٧)

(١ ، ٢) هل هذا الكلام يليق بالإمام الشافعي ان يقوله؟ هل يعقل أن ينهى الفقيه عن مودة الناس وأن ينعزل عن أعلاهم وأسفلهم ..؟

(٣) كناية عن التسامح .

(٤) وفي رواي الربيع ألنا بدل ليتنا .

(٥) وفي رواية الربيع أيضا مرابضها .

(٦) فانج بدل فاهرب (رواية الربيع) .

(٧) كلام لا يليق بالشافعي كما قلنا .

مقامات البشر [1]

أصبحت مطرحا فى معشر جهلوا ... حق الأديب فباعوا الرأس [2] بالذنب
والناس يجمعهم شمل، وبينهم ... فى العقل فرق وفى الآداب والحسب
كمثل ما للذهب الإبريز يشركه ... فى لونه الصفر، والتفضيل للذهب
والعود لو لم تطلب منه روائحه ... لم يفرق الناس بين العود والحطب

محط الرجاء

إذا رمت المكارم من كريم ... فيمم من بنى لله بيتا
فذاك الليث من يحمى حماه ... ويكرم ضيفه حيا وميتا

• • •

(١) وردت فى الديوان تحت عنوان «الأديب» . والصفر فى الأبيات أى النحاس .
(٢) باعوا الرأس بالذنب أى ضاعت عندهم المقامات وانقلبت المعايير .

باب الحديث عن المرأة

هذا يوم دعاء

قرأت فى أمال أملاها أبو سليمان الخطابى على بعض تلاميذه قال الشيخ: كان الشافعى - رحمه الله تعالى - يوما من أيام الحج جالسا للنظر، فجاءت امرأة فالقت إليه رقعة فيها [1] :

عفا الله عن عبد أعان بدعوة ... خليلين كانا دائمين على الود
إلى أن مشى واشى [2] الهوى بنميمة ... إلى ذاك من هذا فزالا عن العهد

قال : فبكى الشافعى - رحمه الله تعالى - وقال : ليس هذا يوم نظر: هذا يوم دعاء ، ولم يزل يقول: اللهم اللهم حتى تفرق أصحابه [3] .

التواضع

كيف الوصول الى سعاد ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوف [4]
الرجل حافية ولا لى مركب ... والكف صفر والطريق مخوف

الهوى

روى ياقوت الحموى فقال : بلغنى أن رجلا جاء الشافعى برقعة فيها [5] :

سل الفتى المكى من آل هاشم ... إذا اشتد وجد [6] بامرىء ماذا يصنع

قال الشافعى تحته :

يداوى هواه ثم يكتم وجده ... ويصبر فى كل الامور ويخضع

فاخذها صاحبها وذهب بها، ثم جاء وقد كتب تحت هذا البيت الذى هو الجواب:

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ - ص ٣٠٦ .
(٢) الواشى : النمام .
(٣) هل هناك ايام للنظر؟ اللهم لا . . وهذا مما يشك فى الرواية من أساسها .
(٤) حتوف : جمع حتف وهو الهلاك .
(٥) الوجد : الحب والشوق .

فكيف يداوى الهوى قاتل الفتى … وفى كل غصة[1] يتجرع

فكتب الشافعى : رحمه الله تعالى :

فإن هو لم يصبر على ما أصابه … فليس له شىء سوى الموت أنفع

حدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه، قال : تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة ، فتقول :

وما يستوى الرجلان رجل صحيحة … وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعوب وتقول :

وما يستوى الثوبات ثوب به البلى … وثوب بأيدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى … ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى … وحنينه أبدا لأول منزل[2]

القبلة فى الصيام[3]

وحدث الربيع بن سليمان قال : كنا عند الشافعى إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم، ثم كتب فيها ودفعها إليه قال : فقلنا يسأل الشافعى عن مسألة لا ننظر فيها وفى جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأنا وإذا فيها[4] .

سل الفتى[5] المكى فى تزاور … وضمة مشتاق الفؤاد جناح[6]

قال : وإذا أجابه أسفل من ذلك :

أقول : معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح .

---

(١) الغصة : الشجا : وما غمى الإنسان من طعام أو غيظ وما اعترض فى الحلق فأشرق، والهم والحزن .

(٢) المستطرف ج ٢ ـ ص ١٨٧ .

(٣) فى الديوان تحت عنوان فراسة مفتى ولا يعطى المضمون .

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج١٧ ـ ص ٣٠٥

(٥) الفتوى لا تؤخذ بهذه الصورة من التورية بالمطلوب .

(٦) جناح : لوم وإثم .

قال الربيع فأنكرت على الشافعى أن يفتى لحدث بمثل هذا فقلت يا أبا عبدالله تفتى بمثل هذا شابا؟ فقال لى: يا أبا محمد وهذا رجل هاشمى قد عرس هذا الشهر ـ يعنى شهر رمضان ـ وهو حدث السن، فسأله هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء ؟ فأفتيته بهذه الفتيا .

قال الربيع : فتتبعت الشاب فسأله عن حاله فذكر لى أنه مثل ما قال الشافعى فما رأيت فراسة أحسن منها .

المزاح

وحدث ياقوت الحموى بإسناد رفعه الى ابن عمر ثم الى الشافعى قال : كان لأبى عبدالله الشافعى امرأة تزوجها من قريش بمكة وكان يمازحها ويقول :

ومن البلية أن تحب … ب ولا يحبك من تحبه

ويصد عنك بوجهه … وتلح أنت فلا تغبه

عفوا تعف نساؤكم

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم … وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

إن الزنا دين إن أقرضته … كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا … سبل المودة عشت غير مكرم

لو كنت حرا من سلالة ماجد … ما كنت هتاكا لحرمة مسلم

من يزنى يزن به ولو بجداره … إن كنت يا هذا لبيبا فافهم

جهدا البلاء

أكثر الناس فى النساء وقالوا … إن حب النساء جهد[1] البلاء

ليس حب النساء جهدا ولكن … قرب من لا تحب جهد البلاء[2]

• • •

---

(١) بالفتح والضم الطاقة وقرىء بهما قوله تعالى : ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ والجهد بالفتح المشقة. ويقال جهد : بالفتح الرجل بكذا جد فيه وبالغ وبابهما قطع .

(٢) بعيد أن يكون هذا للإمام الشافعى .

باب الموت والآخرة

نلحظ فى مقطوعات هذا الباب الدعوة إلى الاستعداد للموت والعمل له والاعتراف بالذنب والدعوة الى ترك الغرور، كما يغلب عليه جانب النصح والإرشاد .

التأهب للآخرة

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها   يمسي ويصبح فى دنيا سفارا
هلا تركت لذى الدنيا معانقة   حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنا   فينبغى لك الا تامن النارا

وداع الدنيا والتأهب للآخرة (1)

حدث المزنى وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال : دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت :

كيف أصبحت؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولكاس المنية شاربا، وعلى الله جل ذكره واردا، ولا والله ما أدرى روحى تصير إلى الجنة أم الى النار؟ فاعزيها ثم بكى وانشا يقول :

ولما قسا قلبى، وضاقت مذاهبى   جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى (2) فلما قرنته   بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل   تجود وتعفو منة وتكرما
فلولا لم يصمد لإبليس عابد   فكيف وقد أغوى صفيك آدما
فلله در العارف الندب إنه   تفيض لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل من ظلماته   على نفسه من شدة الخوف ماتما
فصيحا إذا ما كان فى ذكر ربه   وفيما سواه فى الورى كان أعجما
ويذكر أياما مضت من شبابه   وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره   أخا السهد والنجوى إذا الليل أظلما
عسى من له الإحسان يغفر زلتى   ويستر أوزارى وما قد تقدما

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج17 - 302 .
(2) أى عظم على .

تعزية

جاء فى كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم تاليف جمال الدين ابو بكر الخوارزمى ص ٢٨٦ جزع ابن المهدى على ابن له مات حتى امتنع من الطعام فكتب إليه المطلبى الشافعى رضى الله عنه : اما بعد : فعز نفسك بما تعزى به غيرك وأعلم ان أغص المصائب فقد سرور مع حرمان أجر فكيف إذا اجتمعا على اكتساب وزر .. وانشد

إنى أعزيك لا انى على طمع   من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزى بباقى بعد صاحبه   ولا المعزى وإن عاشا إلى حين (1)

الاستعداد للمنايا

كم ضاحك والمنايا فوق هامته   لو كان يعلم غيبا مات من كمد (2)
من كان لم يؤت علما فى بقاء غد   ماذا تفكره فى رزق بعد غد

سفينة المؤمن

إن لله عبادا فطنا (3)   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا   أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة (4) واتخذوا   صالح الأعمال فيها سفنا

موت الأحبة

ساصبر للحمام (5) وقد أتانى   وإلا فهو آت بعد حين
وإن أسلم يمت قلبى حبيبى   وموت احبتى قبلى يسونى (6)

الموت سبيل كل حى

قال الاصبهانى : حدثنا ابن القاسم قال : أملى علينا الزبير بن عبدالواحد يقول سمعت الحسن بن سفيان يقول : سمعت حرملة يقول : سمعت الشافعى يقول :

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج17 - ص 308 .
(2) كمد : حزن .   (3) فطنا : اذكياء .
(4) اللجة : الأمواج   (5) الحمام (بكسر الحاء) : الموت .
(6) يسونى : يسوءنى ويحزننى .

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وما موت من قد مات قبلى بضائرى[1] ولا عيش من قد عاش بعدى بمخلدى
لعلى الذى يرجو فنائى ويدعى به قبل موتى أن يكون هو الردى[2]

مظاهر الشيب ومحاسن الأعمال

خبت[3] نار نفسى باشتعال مفارقى[4] وأظلم ليلى إذ أضاء شهابها
أيا بومة[5] قد عشت فوق همتى[6] على الرغم منى حين طار غرابها
رأيت خراب العمر منى فزرتنى ومأواك من كل الديار خرابها
أأنعم عيشا بعد ما حل عارضى[7] طلائع شيب ليس يغنى خضابها[8]
إذا اصفر لون المرء وابيض شعره تنغض من أيامه مستطابها[9]
فدع عنك سوءات[10] الأمور فإنها حرام على نفس التقى ارتكابها
وأد زكاة الجاه[11] واعلم بأنها كمثل زكاة المال تم نصابها[12]
وأحسن إلى الأحرار تملك رقابهم فخير تجارات الكرام اكتسابها
ولا تمشين فى منكب الأرض[13] فاخرا فعلما قليل يحتويك ترابها
ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا كما لاح[14] فى ظهر الفلاة[15] سرابها[16]

* * *

(١) ضائرى : جالب الضرر لى . (٢) الردى : الميت .
(٣) خبت النار : طفئت . (٤) المفرق : وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه .
(٥) البومة والبوم : طائر، كلاهما للذكر والأنثى (ويسكن الخرائب) .
(٦) الهامة : الرأس والجامع هام، وهامة القوم رئيسهم .
(٧) العارض : صفحة خد الإنسان ومنه المثل رجل خفيف العارضين أى خفيف شعر عارضيه .
(٨) الخضاب : ما يلون به الشعر من حناء ونحوه .
(٩) تنغض : تكدر وساء ومنه نغض الله عليه العيش تنغيصا أى كدره ، وقد جاء فى الشعر نغضه وأنشد الأخفش :

لا أرى الموت يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

(١٠) سوءات الأمور : قبيحها وساقطها . (١١) الجاه : القدر والمنزلة .
(١٢) النصاب : المقدار الذى تجب فيه الزكاة .
(١٣) منكب الأرض : الطريق ، والجمع مناكب .
(١٤) لاح : لاح يلوح لوحا بدا وظهر .
(١٥) الفلاة : الصحراء الواسعة والجمع فلا وفلوات .
(١٦) السراب : الذى تراه نصف النهار وكأنه ماء فى الصحراء .

فهرس الكتاب

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة